Editor - in- Chief
Fakhri Karim
General Political Daily
Tus (3) August 2004
http://www.almadapaper.com
E-Mail-almada112@yahoo.com

منشورات دار (المدى) للثقافة والنشر والفنون

العطـــر
قصـــة قاتـــل

تأليف: باتريك زوسكيند
ترجمة: د. نبيل الحفار
عدد الصفحات (٢٤٠) ١٤,٥ × ٢١,٥
رواية قاتل يمتلك إحساساً مرضياً بالروائح، يعيش في باريس في القرن السابع عشر ويرى العالم من خلال أنفه، والرواية بانوراما لذلك المجتمع بطبقاته ومشاغله وعلاقاته، تمتلك نفساً بوليسياً به نفحة من الرعب.

وثائق

كلنا نحمي كنائسنا

حسين محمد عجيل

قبل أشهر أثارت انتباهي عبارة قرأتها على عدة لافتات كانت معلقة في الساحات العامة ببغداد، تقول: استشهاد عز الدين سليم يعزز الوحدة الوطنية .. استغربت حينها من توجيه معنى استشهاد زعيم سياسي ومفكر معروف هذا التوجيه، وتساءلت: كيف يمكن أن تتعزز الوحدة الوطنية بهذه الطريقة؟

وبعد أن تلقيت الخبر الصادم المؤلم باستهداف عدة كنائس ببغداد والموصل، وفي يوم الأحد المقدس، بأعمال إرهابية أقول: إنني أدركت الآن معنى تلك العبارة. وأرى أن هذا الحادث الإجرامي سيعزز هو الآخر، من حيث لا يقصد مقترفوه، الوحدة الوطنية لعراق تعانقت فيه القلوب وتواصلت العقول وتشابكت السواعد لإقامة تجربة ديمقراطية وطنية، تحاول أن تختصر أيام تواجد القوات المتعددة الجنسيات، من خلال بناء دولة المؤسسات وسيادة القانون، القادرة على حماية نفسها بنفسها، ليجد كل فرد نفسه فيها مواطناً من الدرجة الأولى بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الديني أو الطائفي.

إن استهداف مدنيين أبرياء يؤدون طقوسهم الدينية في بيتٍ من بيوت الله إنما يثبت للمرة الألف حقيقة أن من يقف وراءه مفلس تماماً من أي رصيدٍ أخلاقيٍ، وهذه الحقيقة تكشفت لكل شرائح مجتمعنا العراقي منذ وقت مبكر، عبر العمليات الإرهابية السابقة، وبالتزامن مع اكتشاف إفلاس هؤلاء القتلة المأجورين أيضاً من أي برنامج سياسي تحاول بعض المنابر الإعلامية التلميح إلى وجوده مواربة، بينما تعلنه صراحة ووقاحة مزابل إعلامية أخرى. اللهم إلا إذا كان تخريبُ البنى الاقتصادية لبلاد مطعونة في فؤادها، وذبحُ أبناؤها في أماكن تجمعاتهم الدينية والدنيوية، أو في أثناء أدائهم لوظائفهم الحكومية العامة وواجباتهم الرسمية المناطة بهم في أجهزة الشرطة والدفاع المدني وتشكيلات الحرس الوطني، يسمى في عرف هذه المنابر أو المزابل نضالاً أو جهاداً!

هؤلاء قتلة يتوجب تعقبهم وإلقاء القبض عليهم ومحاكمتهم على ما اقترفت أيديهم من مجازر، سواء كانوا محسوبين على فئة إسلامية ضلوا طريقها فلفظتهم، أو اتخذوا من فئة إسلامية أخرى غطاءً وهمياً وظنوا أنهم سيستطيعون تسويق إجرامهم، المدفوع الثمن هذا، على السذج أمثالهم على أنه جهاد، أو كانوا من بقايا أيتام النظام المتفسخ الساقط ويعتقدون واهمين أنهم سينجحون في خلط الأوراق ليقفزوا من جديد إلى مراكز النفوذ والسلطة بجلود ووجوه مستعارة، أو كانوا من شراذم تنظيم القاعدة الارهابي، أو كانوا ينتمون إلى ما يعرف بـ (جماعة الزرقاوي) أو كانوا خليطاً من كل ما سبق وغيره من الجهات المريبة والمافيات الدولية التي وجدت العراق ميداناً مناسباً لأعمالها القذرة، أو لتصفية حساباتها القديمة والجديدة...

أقول لكل هؤلاء مجتمعين: إن أول كنيسة في العراق أنشئت في القرن الميلادي الأول، أي قبل أن يدخل الإسلام العراق بنحو ستة قرون، وإن أكثر من أربعة عشر قرناً مرت على دخول الإسلام في العراق ومسيحيوه يعيشون في بلادهم بسلام، إن أصابت البلاد مصيبة أصابتهم كما أصابت غيرهم، وأن أصابها رخاء نالوا حصتهم منه. وسترون بأعينكم كيف سيبادر العراقيون من كل الطوائف والأديان والأعراق لحماية كنائسهم من شرورکم، تماماً مثلما فعلوا حين هاجمتم جوامعهم ومساجدهم وحسينياتهم من قبل لتزرعوا بذور فتنة لن تنبت في أرض العراق مهما حاولتم. أنتم إذاً أثبتم فشلكم أيضاً بعد أن جربتم هذه المرة أن تنطحوا صخرة صلدة تمثل جزءاً أصيلاً من تكوينات المجتمع العراقي المتماسك، ضارباً بجذوره بعيداً حيث ينابيع حضاراتنا الأولى. وستتهشم رؤوسكم وأنتم تجربونها صخرة اثر صخرة تنتظم لتكوّن سوراً يعزز وحدتنا الوطنية.

جدران مهدمة وسيارات محترقة وجموع غفيرة من الناس تتجمهر على أبواب الكنائس التي أغلقت أمام الوافدين، أسئلة هيستيرية يوجهها الناس إلى بعضهم، كيف حال فلان، فلان هل مات؟ هل أصيب فلان؟ الجميع يسأل عن الأبناء والآباء والأقرباء والأصدقاء، وهناك من جاء ليسأل عن قبر أخيه أو أبيه أو ابنه، هل تهدم أو احترق أم هو ما زال موجودا، وجوه غريبة حائرة غاضبة والسؤال الأوحد الذي يثب من الألسنة، من المسؤول عن هذه الاعتداءات؟ كل هذه الانطباعات والمشاهدات رصدتها (المدى) عند تجوالها في أماكن الاعتداءات الأثيمة التي استهدفت عدة كنائس في مناطق مختلفة من بغداد. وأعدت هذا التحقيق:

هكذا فعل الإرهابيون بالكنائس!

الدم على الصلبان والسلام على الضحايا

بغداد/ عمر الشاهر

السيد صبري يوحنا يعقوب (ساعور كنيسة سيدة النجاة في بغداد) تحدث لـ(المدى) قائلاً: عند الساعة السابعة إلا عشر دقائق سمعت انفجاراً قويا قرب كنيسة سيدة النجاة، وكان هذا الوقت هو وقت صلاة وهذا يعني وجود عدد كبير من الناس في الكنيسة مما أدى إلى وقوع إصابات بشرية توزعت بين الشهداء والجرحى تجاوز عددهم العشرات فضلاً عن احتراق أكثر من سيارة وتهشم زجاج المباني المجاورة للكنيسة وأضاف يعقوب: أن مواطنين أفادوا أن سيارة مفخخة تركها أحد الأشخاص قرب الكنيسة وانفجرت بعد فترة من تركها وقال يعقوب: إن المسيحيين طائفة مسالمة تدعوا إلى التسامح والذين يقفون وراء هذا الاعتداء يريدون زرع الفتنة بين أبناء العراق خدمة لأهداف دنيئة.

-أما السيد باسم سعيد (يسكن قرب الكنيسة) فقد قال: إن بعض المارقين هم من نفذ هذا الاعتداء انتقاماً من العراقيين الذين ينبذون كل مظاهر العنف والإرهاب، وقد تهدم بيتي ولا أستطيع الوصول إليه الآن بسبب الخراب الذي لحق به وبالدور المجاورة له.

وفي كنيسة سلطان الزهور في الكرادة كانت مظاهر الدمار واضحة إذ كانت الدور المهدمة والسيارات المحترقة وأعداد كبيرة من الجرحى، وتحدث أحد أصحاب البيوت المجاورة للكنيسة قائلاً:

جرح عدد من أفراد عائلتي وتضررت داري وسيارتي وأنا أصلاً أعاني من مشكلة البطالة فمن أين أجلب مبالغ أصلح بها كل هذه الأضرار؟

فيما أفاد أحد سكان الكنيسة المستهدفة أن سيارة أوبل كاديت مارونية اللون انفجرت أمام الكنيسة وتسببت في هذه الأضرار.

-ادور ايشو رئيس منظمة مجلس كنائس الشرق الإنسانية (مقرها أمام الكنيسة المستهدفة) قال لـ(المدى) أن من يقف وراء هذا الاعتداء هم أناس ليسوا بعراقيين، لأننا نعيش مع العراقيين منذ خلقنا وكنا نتلمس منهم المساعدة لأننا شعب واحد والمسؤول عن هذه الاعتداءات جهات تريد شق صف الوحدة الوطنية للعراق، وأثناء تواجد (المدى) في مكان الحادث حضر جمع من المسؤولين في وزارة الأوقاف العراقية لمواساة إخوانهم.

-الخوسكوف بيوس من كنيسة مارو يوسف قال لـ(المدى): المسيحيون أناس مسالمون وأمنيتنا أن نحيا بمحبة وسلام مع إخواننا المسلمين وأبناء الطوائف الأخرى، وكما يدعو المسيح إلى السلام مع إخواننا المسلمين وأبناء الطوائف الأخرى، وكما يدعو المسيح إلى السلام فإن الإسلام يدعو إليه أيضا. وما يحصل من اعتداءات على الكنائس هو اعتداء على الإسلام والمسيح معا.

أطلب الرحمة للذين انتقلوا إلى الديار الخالدة بسبب هذه الاعتداءات كما أطلب الشفاء العاجل للجرحى أو الذين أصيبوا بصدمات نفسية لذات السبب. وأمنيتي أن يدرك القائمون على هذه الاعتداءات إننا وجه الله ومن كان كذلك فعليه أن ينبذ العنف والدماء ليجعل من وجهه نوراً يشرق على الناس.

نحن لا نوجّه إصبع الاتهام إلى أية جهة خوفا من أن نظلم الناس وإنما نقول إن الأنفس الشريرة هي من قامت بهذا العمل الدنيء.

أما محطة (المدى) الأخيرة فقد كانت كنيسة بطرس وبولص في الدورة شاهدت (المدى) حجم الدمار الهائل الذي لحق بالناس من مختلف الصنوف حيث أفاد أحد سكنة المنطقة أن بعض الجثث بقيت في مكان الحادث إلى اليوم التالي بسبب تفحمها وعدم معرفة جهة انتسابها، وتحدث السيد عادل يونان - صاحب محل تجاري أمام الكنيسة - عن سيارتين استهدفتا الكنيسة دخلت الأولى إلى بارك السيارات وبقيت الثانية قرب سياج الكنيسة وانفجرتا بعد ذلك بقليل، ومن بين الضحايا عائلة بكاملها احترقت داخل السيارة كانت هناك ولم يستطع أحد مساعدتهم.

أما السيد صبري إسحاق (من سكنة المنطقة) قال: هرعت إلى الكنيسة بعد أن سمعت الانفجار لأن عائلتي بأكملها كانت داخل الكنيسة ولم أستطع الدخول إلى الكنيسة بسبب النيران الهائلة التي كانت تصل إلى السماء لتنقل شكوانا إلى الرب من هذا الإرهاب.

وذكر السيد إسحاق أن عدد السيارات التي احترقت بالكامل هو ٢١ سيارة فضلاً عن أضرار جزئية لحقت بعدد آخر من السيارات.

وتحدث لـ(المدى) أيضاً السيد عدنان كريم صاحب إحدى السيارات المتضررة قائلا: كنا داخل الكنيسة عندما حصل الانفجار وخرجت إلى مكان الحادث وشاهدت ألسنة اللهب وهي تلتهم سيارتي التي لا أملك غيرها١٩٩ مصدراً لرزق عائلتي، وقد شاهدت أشلاء الشهداء في كل مكان، ومع كل الأسف لم يصل رجال الإطفاء إلا بعد ساعة ونصف بعد أن احترق كل ما يمكن إنقاذه.

-وتحدث لـ(المدى) القس فارس من الكنيسة المستهدفة عن المسلمين الذين هرعوا إلى مكان الحادث ليساعدوا إخوانهم المسيحيين في مصيبتهم هذه والذين قاموا بنقل الجرحى إلى المستشفيات وإطفاء الحرائق المشتعلة في المكان.

مسيحيو العراق وتاريخ طويل

شكل المسيحيون جزءاً حيوياً من تاريخ العراق منذ حوالي ألف سنة، ويرجع أصلهم إلى منطقة بلاد الشام والمناطق المحيطة بها.

تاريخ طويل ومعقد

كان عددهم قبل حرب الخليج الثانية يصل المليون ولكنه الآن لا يتجاوز الستمئة وخمسين ألف وقد تبوأ بعض المسيحيين مناصب رفيعة في تاريخ العراق الحديث.

مدينة ذكرت في الكتاب المقدس

وقد تضررت الطائفة المسيحية بإجراءات التهجير القسري من أماكن سكنها. وتأثر الذين كانوا يقيمون في المناطق الغنية بالبترول، حيث أرادت السلطة الإبقاء على أكثرية عربية قرب الحقول ذات الأهمية. ويتركز معظم المسيحيين في العراق في بغداد وكذلك في المدن الشمالية مثل كركوك وأربيل والموصل التي كانت يوماً ما مركزاً تجارياً مهما ورد ذكره في الكتاب المقدس باسم نينوى. معظم المسيحيين العراقيين هم من الكلدانيين الذين يتبعون الكنيسة الكاثوليكية الشرقية وهم مستقلون عن روما مع كونهم يعترفون بسلطة البابا الروحية. الكلدانيون هم شعب قديم يتحدث العديد منهم اللغة الآرامية وهي لغة المسيح. أما الفئة المهمة الأخرى فهي فئة الآشوريين وهم ينحدرون من الإمبراطورية الآشورية والبابلية، وقد انتشروا في أنحاء الشرق الأوسط بعد انهيار إمبراطوريتهم في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد. وقد اعتنقوا المسيحية في القرن الأول الميلاد حيث تعتبر كنيستهم الشرقية الأقدم في العراق. ومن الآشوريين من ينتمون إلى الكنيسة السريانية الآرثوذكسية والكنيسة الكلدانية بالإضافة إلى طوائف بروتستانتية متعددة. وعقب استقلال العراق عام ١٩٣٢ ارتكب العسكريون مجازر بحق الآشوريين ولكن بعض أماكن العبادة قد أعيد بناؤها في الفترة الأخيرة. وهناك في العراق أيضا من يتبعون الكنيسة السريانية الأرثوذكسية والأرمنية الأرثوذكسية وهناك أرمن كاثوليك نزحوا من تركيا هرباً من المجازر في بداية القرن العشرين. وهناك أيضاً الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك بالإضافة إلى الانجليكانيين